لان الله تعالى اعلى من ان يُخدع ويُظهر على المؤمنين وان اجرو بهم مجرى انفسهم
ويقع خداعهم بانفسهم اذ يرونها ذلك كمال رايهم مع تركهم النظر بالكلية
وما يشعرون بخداعهم لانفسهم مع غاية ظهوره وانما لا يظهر لهم اذ في
قلوبهم مرض هو تفريطهم في القوة الحكمية فيما القوه من دين ابايهم وافراطهم
في الشهوية والقران وان كان شفاء الا انهم لما ابغضوه لم يستعملوا النظر فيه
فزادهم الله مرضا بافراط الغضبية وعدم النظر لو صلح عذرا في عدم الايمان
فليس بعذر في التكذيب فلا محالة لهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون لانه تكذيب
بلا دليل بل مع الدليل على صدقه وهو الاعجاز ولعدم شعورهم بالمرض اذا قيل
لهم لا تفسدوا في الارض من افراطكم في الشهوية والغضبية وتفريطكم في الحكمية
بترك الانقياد للشرايع التي بها انتظام امر الدين وتحقق الانسانية قالوا الدارين
انما نحن مصلحون اى مقصورون على الاصلاح لانا نرجع الامر الى ما كان
عليه في الازمنة الماضية الا انهم هم المفسدون لان ذلك الامر كان فسادا
مستمرا ازاله الله ببعثة الرسل فلما استرجعوه كانوا المفسدين بعد الاصلاح
وهو اتم من ترك المستمر ولكن لا يشعرون من مرض قلوبهم لانه مخل بانتظام
امر الدارين وتحقق الانسانية مع ظهوره واذا قيل لهم آمنوا كما آمن
الناس الذين قصدوا اصلاح نظام الدارين وتحقق الانسانية اذ به الانقياد
لقواعد العدل التي بها الانتظام والتحقق قالوا انؤمن كما آمن السفهاء
الذين من سخافة رايهم لم يستوفوا فوايد الشهوية والغضبية الا انهم هم
السفهاء بترك تعديلهما واتباعهما الحكمية وهو اتم استيفاء لمن تامل حق
التامل ولكن لا يعلمون لتركهم التامل بالكلية ثم اشار الى ان قولهم انؤمن كما
آمن السفهاء ليس بطريق التصريح بل مقتضى عباراتهم وذلك انهم اذا لقوا الذين
آمنوا قالوا آمنا بالجملة الفعلية الماضوية من غير تاكيد لعلمهم بقبولهم له عن
سفاهتهم اذ يحقنون بمجرد ذلك دماءهم واموالهم مع ظهور افسادهم
واذا خلوا اى مضوا خالين عن حضور مؤمن معهم الى شياطينهم اى الذين ماثلوا
الشياطين في التمرد قالوا انا معكم وان اظهرنا الايمان لهم حينا مستمرون على
الكفر في اعلى مراتبه فاكدوا لهم بالجملة الاسمية لاعتقادهم كمالهم بحيث
لا يقبلون منهم ذلك القول مع اظهارهم الايمان من غير تاكيد ومع ذلك يعتقدون

فيهم

فيهم انهم يعرضون عليهم بلسان الحال ما لكم تظهرون الايمان لهم فيقولون انما
نحن مستهزءون اى مستخفون بهم لاغترارهم بمجرد قولنا المخالف لفعلنا فقال
عز وجل ان كان المؤمنون محل استهزائهم حينا مع غاية جهلهم فهم محل استهزاء الله
علام الغيوب استهزاء مستمرا بتجديد الامثال اذ الله يستهزئ بهم بحقن
دمائهم واموالهم ليزدادوا نفاقا فيزدادوا عذابا هو اشد ايلاما من ذهاب
الاموال والدماء المولم ايام الحيوة الدنيا ويدل عليه انه يمدهم بالنعم مستغرقين في
طغيانهم مجاوزة الحد في الضلال يعمهون اى يترددون مع حدوث الدلايل
يوما فيوما فهذا دليل على مزيد عذابهم الذي هو اشد وجوه الاستخفاف ويفتح
لهم في النار بابا الى الجنة كلما صاروا اليه سد عليهم وكيف لا يستهزئ بهم وهم
اسفه الناس معاملة معه اذ اولئك الذين اشتروا اى استبدلوا الضلالة
اى النفاق بالهدى اى الايمان الذي انطق الله بها السنتهم وفيه ربح
الدارين وفي الضلالة خسرانهما فان لم يكن خسران الدنيا فما ربحت تجارتهم
اى ما كانت سبب ربح الدنيا وقد خسروا الآخرة اذ ضيعوا راس مالها و
هو الهدى لانهم ما كانوا مهتدين بمجرد النطق بالايمان وان كان يهدي
في نفسه كيف وقد استبدلوه بتكذيب الباطن فلم يرجوا شيئا وقد خسروا
سعادة الابد التي لو استبدلوها بسعادة الدنيا كان عين الخسران العظيم فكيف
اذا لم يحصل ايضا واى سفه اعظم من ذلك مثلهم اى صفتهم العجيبة الشان في
اشتراء الضلالة المظلمة بالهدى المنيرة كمثل الذي استوقد نارا اى طلب
الوقود ليرتفع لهب النار طريدا انارة اذ ادعوا لانفسهم قوة الايمان الذي
هو في الانارة المعنوية مثل النار في الحسية او اشد فلما اضاءت النار
ما حوله اى حول المستوقد فابصر ما فيه اطفا النار على ظن انه لم يبق له اليها
حاجة كذلك اطفا هؤلاء مصباح الايمان من باطنهم على ظن انه لا يحتاج اليه
الا في حقن الاموال والدماء مما حول النفس وقد حصل كالابصار للمستوقد فلما
اتوا ذهب الله بنورهم اى بفايدته من حقن الدماء والاموال وتركهم في
ظلمات ظلمة الكفر وظلمة اهوال القيمة وظلمة غضب الله وعقابه بحيث لا
يعقبها نور اذ لا يبصرون خلاصهم عنها فهذا مثلهم لو سمعوه لكنهم صم ولو سمعوا
لم ينطقوا بما يزيله من الايمان الخالص لانهم بكم ولو امكنهم النطق به لم ينطقوا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)